مساهمة المستعربين ترجميّا في التثاقف بين ضفّتي المتوسّط

The Arabists' translated contribution to the acculturation between the two shores of the Mediterranean

دة. نجاة الطاهر قرفال

جامعة الزيتونة (تونس)،guerfeell@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2020/04/30 تاريخ القبول: 2020/06/02 تاريخ النشر: 2020/06/30

الملخص

لما كان الحسّ المعرفيّ موصولا برغبة المرء في التعرّف على الآخر، كان لا بدّ من البحث عن معابر التواصل. ولقد راجت الترجمة في محطّات حضاريّة كثيرة ربطت الشرق بالغرب. وأدرك المستعربون، الذين تصدّوا للاشتغال بحقل معرفيّ مادّته العربيّة لغة وأدبا وحضارة، أنّ الترجمة وسيلتهم المثلى لمعرفة الآخر تاريخا وحضارة. تروم هذه الورقة اختبار حركة الترجمة في مدى تمكّنها من إحداث نقلة فارقة في تثاقف الشعوب وإحلال تعايش سلميّ بينها، من خلال النظر في عيّنات ترجميّة لكوكبة من المستعربين الفرنسيّين.

من النتائج: أوّلا: دلّ النظر في المنجز الترجميّ على وعي المستعربين بخصوصيّة الثقافيّة الإسلاميّة. ثانيا: في أعمالهم الترجميّة مراوحة بين توجّه علميّ نتاجه تعارف وتثاقف وبين توظيف المعرفة للهيمنة الاستعماريّة. ثالثا: أشعّ المستعربون على عالمهم بما ترجموا من حضارة الشرق لكنّهم لم يراهنوا على ظهور خطّ مواز: الاستغراب

الكلمات المفاتيح: الترجمة؛ التثاقف؛ المستعربون؛ ضفّتا المتوسّط.

Abstract :

Since the cognitive sense is connected to one's desire to know the other, it is necessary to search for the crossings of communication. The translation was popular in many civilized stations that linked the East with the West. The Arabists, Those who fought to work in a field of knowledge of Arabic material, language, literature and civilization realized that translation is their ideal means of knowing the other, history and

civilization. This paper aims to test the translation movement in its ability to make a difference in the cultures of peoples and establish peaceful coexistence between them, by looking at the translation samples of a constellation of French Arabists.
Keywords: translation; acculturation; Arabists; The two shores of the Mediterranean

المؤلف المرسل: نجاة الطاهر قرفال، **الإيميل**: guerfeell@hotmail.fr

1. مقدمة:

ينبثق الحسّ المعرفيّ من الوعي بالوجود. ثمّ يكون الحراك العلميّ نظريّا وعمليّا. ومن ثمّ ينشأ الوعي بوجود الآخر. فيكون الانبعاث الحضاريّ. يرغب المرء، إذن، في التعرّف على الآخر إنسانا وأشياء، مكانا وزمانا، فيبحث عن معابر التواصل وهي كثيرة. فهو يلاقي الآخر محمّلا بثقافته التي تلقّاها عن وعي أو عن غير وعي والتي يبثّها في الآخر، أيضا، عن وعي أو غير وعي. ومن السبل المؤدّية إلى ذلك تفعيل حركة ترجميّة باعتبارها أحد تلك المعابر المؤمّنة لعمليّة التثاقف. ولقد عرف الإنسان عبر تاريخه الطويل وفي محطّات حضاريّة كثيرة ربطت الشرق بالغرب، بل وصلت بين ضفّتي حوض البحر الأبيض المتوسّط، أشكالا متنوّعة لعلاقات وصلت الضفّتين شمالا وجنوبا، شرقا وغربا. منها الرحلة والتجارة والحروب، خاصّة. وقد شهدت بغداد، على سبيل المثال، نشاطا ترجميّا متنوّع المشارب في دار الحكمة، وهي أشبه بالأكاديميّة العلميّة المتنوّعة الاختصاصات. هناك كان استقطاب العلوم اليونانيّة والفارسيّة والهنديّة. وشهدت بلاد الأندلس، كذلك، زمن ازدهارها وبعد سقوطها، ولاسيّما في طليطلة، إقبالا شديدا على ترجمة مختلف العلوم الإسلاميّة التي سيكون أثرها بيّنا في ما شهده العالم لاحقا من تطوّر حضاريّ. ولم يفت هذا الحراك التثاقفيّ المستعربين، وهم الذين تصدّوا للاشتغال بحقل معرفيّ مادّته العربيّة لغة وأدبا وحضارة، أنّ الترجمة وسيلتهم المثلى لمعرفة الآخر تاريخا وحضارة، بنية اجتماعيّة وميولا نفسيّة، حضورا آنيّا وتطلّعات مستقبليّة. ولقد تنبّهوا، وهم يمارسون عمليّة الترجمة إلى كمّ هائل من المصنّفات العربيّة ذات الشأن، إلى أنّ نقلها إلى لغتهم سيوفّر لبني جلدتهم معينا معرفيّا ثرّا يشفّ لهم عن الآخر. تتجاوز هذه

الورقة البحثيّة المسألة الاصطلاحيّة ابتداء. وتسعى إلى اختبار حركة الترجمة في مدى تمكّنها من إحداث نقلة فارقة في تثاقف الشعوب وإحلال تعايش سلميّ بينها، من خلال النظر في عيّنات من ترجمات كوكبة من المستعربين الفرنسيّين[1] الذين بدوا معوّلين على الترجمة باعتبارها آليّة مهمّة في ترحيل المعرفة من مظانّها العربيّة الإسلاميّة إلى بلاد أروبيّة بحاجة إلى تملّكها، وبناء جسور التواصل بين بلدان شمال إفريقيا وبلدان جنوب أروبا، مثلا، وربّما، وهذا على وجه الافتراض، التمكين لأسيادهم، أرباب الاحتلال، من فرض سيطرتهم العسكريّة والثقافيّة على غيرهم بدعوى الحماية والتمدين.

ثلاث مسائل تسعى هذه الورقة البحثيّة إلى تناولها بالدرس. تتعلّق الأولى بالمنجز الترجميّ. وترتبط الثانية بمحاميله الثقافيّة. وتتّصل الثالثة بأبعاد ذلك المنجز في عمليّة التثاقف بين ضفّتي المتوسّط.

الإشكاليّة: إلى أيّ حدّ يمكن أن يكون المستعربون، من خلال ثلّة منهم، قد تمكّنوا من خلال أعمالهم الترجميّة المنتخبة من تحقيق مقاربة تثاقفيّة حقيقيّة بين بلدان ضفّتيْ المتوسّط؟

2. المنجز الترجميّ

يتفرّع العنصر إلى الحاجة إلى الترجمة باعتبارها وسيلة اتّصال وتواصل ونقل معرفيّ ونشر ثقافيّ، وإلى تفعيلها في واقع الحال.

1.2 الحاجة إلى الترجمة

لا يكاد مستعرب يقبل على عمل الترجمة إلاّ وقد سكنه الوعي بضرورتها، بل بضرورة ترجمة عمل بعينه. وهو في الغالب يصرّح بدواعي ترجمته في مقدّمة كتابه أو في مدخل يخصّصه لذلك أو توطئة. وهذا ما فعله برنشفيق مثلا. فقد كشف عن جملة دواع كانت وراء ترجمته لرحلتين: رحلة أدورن (ت1483م)، ورحلة ابن خليل، وهي مجال اهتمامنا هنا. وقد صرّح بها[2] في "**نصّا رحلة[3] غير منشورين إلى شمال إفريقيا في القرن الخامس عشر: عبد الباسط بن خليل[4] وأدورن**"، في التوطئة تحديدا. ومنها نتخب شاهدا محيلا على الداعي المنهجيّ مثيرا مسألة التلاقي الحضاريّ بين ضفّتي البحر المتوسّط: "وهكذا ستتقابل رؤيتان غير متجانستين حول الشيء نفسه... حول تاريخ إفريقيا الشماليّة المسلمة بالنسبة إلى حقبة... مجهولة"[5]. وجاء الداعي المعرفيّ في مدخل أعقب التوطئة. وفيه أبان برنشفيق عن منزلة نصّ

الرحلة في الأدب العربيّ. ودفعه الداعي الاستعماريّ إلى استبدال التسمية الأصليّة بأخرى. فقد استحال المغرب الإسلاميّ، مثلا: إفريقيا الشماليّة أو بلدان شمال إفريقيا أو بلاد البربر أو البربريّة الفرنسيّة. وها هنا ينبثق الداعي الحضاريّ، حيث يكون الوصل بين الأنا والآخر من خلال بناء علاقة بينهما لا تتّضح طبيعتها ولا شكلها الحقيقيّ إلاّ مع مرور الزمن.

2.2 تفعيل الترجمة فرديّا جماعيّا.

لم يقف المستعربون عند الترجمة بالتنظير لها وبيان قيمتها العلميّة ودورها الحضاريّ. وإنّما فعّلوها على مختلف الأصعدة. وتنوّعت أشكال التفعيل. ومنها أن تكون الترجمة فرديّة أو جماعيّة تشاركيّة أو أن يترجم المترجم عملا كان قد ترجم سابقا وأعاد ترجمته لنقائص رآها فيه.

* عيّنة لترجمة فرديّة: يغلب هذا النوع من الترجمة على الأعمال الترجميّة. ونذكر منها عملا اختصّ به أبريبا، جول(Abribat, Jules)(1858-1931). وهو ترجمته[6] لقصيدة الأمير عبد القادر الجزائريّ[7]. وهي في خمسة وثلاثين بيتا. ومطلعها:

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر *** وعاذلا لمحبّ البدو والقفر[8]

* عيّنة لترجمة تشاركيّة: ترجم هودا، أكتاف(Houdas, Octave)(1840-1916) **صحيح البخاريّ**[9]. وهو كتاب ذو شأن لدى أهل تونس. إذ كانت له ختمات معلومة في مساجدها. وجاءت الترجمة في أربعة أجزاء. وقد تمّت ما بين 1902 و1914. وشارك هودا تلميذُه مرصي، وليام (Marçais, William) (1872-1956) في الجزءين الأوّلين. وقد أخطأ العقيقي حين قال: "وعاون وليم مرصي بترجمة جزء من **صحيح البخاري**"[10]، وقال: "وقد عاونه في الجزءين الأوّلين هودا"[11]. فقد كان الجزآن الثالث والرابع من عمل هودا وحده. وليس أصدق ممّا قاله هودا نفسه: "لم يتمكّن السيّد مرصي، المنهمك في أعمال أخرى، من توفير مشاركة حيويّة لهذا الأثر كتلك التي قدّمها سابقا. لم يترجم سوى العناوين...في المجلّة الآسيويّة السلسلة 9 و16 و17 و18"[12].

* عيّنة لترجمةٍ ثانيةٍ: نقل بلاشير القرآن الكريم إلى اللسان الفرنسيّ. ولقي رواجا كبيرا. واعتبره بيّون أهمّ أعماله حين قال: "عمل بلاشير الأكثر تميّزا هو ترجمته للنصّ المؤسّس للإسلام: القرآن"[13]. والمعلوم أنّ

ترجمة معاني القرآن الكريم من لدن المستعربين الفرنسيّين تواترت عشرات المرّات. وكانت أولاها، حسب أهل الاختصاص، ترجمة القسّيس بيير المحترم[14](Pierre Le vénérable) (ت 1156م). وكان ذلك ما بين 1141-1143م[15].

3.2 كوكبة المترجمين المنتخبة:

ينهض النظر هنا في مجال الاختصاص الترجميّ أو عدمه. فمن المستعربين من ألزم نفسه بترجمة في مجال بعينه لا يكاد يغادره. ومنهم من نوّع مجالات ترجمته.

* اختصاص ترجميّ: لعلّ الحديث عن اختصاص ترجميّ عند المستعربين فيه نوع من التعسّف. فهؤلاء القوم أُغرموا بالحفر في الحضارة العربيّة الإسلاميّة والتعرّف على مآثرها والكشف عن أسرار صعودها. فالقصد بالاختصاص هنا ما غلب على المترجم من مجالات ترجميّة عُرف بها. فهودا، مثلا، عُرف أكثر ما عرف بترجمة **صحيح البخاري**، ومن هنا كاد يتخصّص في باب من أبواب السيرة النبويّة الشريفة. وهو باب الأحاديث المرويّة عنه صلّى الله عليه وسلّم. وذلك من خلال نقل ما ورد فيها قولا وعملا ممّا ثبتت روايته[16]. أليس هو القائل: "إنّ قراءة الأحاديث، التي هي بشكل ما أخلاق الإسلام العمليّة، قراءة متأنّية، توفّر له مفهوما أشدّ ما يكون دقيقا لما كان عليه دين النبيّ في أصله"[17].

* تنوّع مجالات الترجمة: والمثال في ذلك بلاشير بتراجمه المتنوّعة المشارب. فمن النصوص الدينيّة ترجم بلاشير، كما تقدّم، معاني القرآن الكريم. ومن الأدب، والشعر تحديدا، ترجم بلاشير شعر أبي الطيّب المتنبّي()، الكثير منه، وضمّنه في أطروحته الموسومة شاعر عربيّ من القرن الرابع الهجريّ(العاشر الميلاديّ): أبو الطيّب المتنبّي[18].

ومن المصنّفات الحضاريّة بامتياز التي ترجمها بلاشير **طبقات الأمم**[19] لصاعد الأندلسيّ(ت 462هـ)[20]. وقد يقع المستعرب تحت إغراءات كنوز التراث العربيّ والإسلاميّ فتراه يحاول تذوّق النصوص من مختلف الاختصاصات وذلك بخوض مرمّة الترجمة وتقديم خلاصة الجهد لقارئ أجنبيّ عن النصّ الأصل ولكنّه موصول بالنصّ المترجم لسانيّا.

3. محاميلُ المنجز الترجميّ ثقافيّا:

ليس النظر في محاميل المنجز الترجميّ، عند هذه الكوكبة من المستعربين بالأمر الهيّن. ذلك أنّ منجزا ترجميّا واحدا كفيل بأن يكون مدار بحث كامل. وإنّما أردنا من خلال العناوين المتعدّدة للأعمال التي أكبّ عليها هؤلاء المستعربون بالترجمة أن يكون التنويع والتمثيل لمدارات ثقافيّة. فليس الحديث عن التثاقف بمقتصر على مدار ثقافيّ واحد، لأنّ التفاعل بين الشعوب يكون شاملا لما تخلّد في المرء من فكر وفنّ وعقيدة وسلوك وعادات ومعارف، وغير ذلك ممّا يستعصي أحيانا تصنيفه ضمن خانة معيّنة. ثمّ إنّ هذه المدارات، ولا ينبغي أن نغفل عن ذلك، آخذ بعضها برقاب بعض، تقاطعا وتكاملا.

1.3 المحاميل الفنّيّة: من المحاميل الفنّيّة التي تضمّنتها المنجزات الترجميّة: وهي متنوّعة. ونقتصر على ذكر العمارة والصناعات.

* **العمارة:** لن نمثّل هنا لفنّ العمارة بالمنشآت العظيمة كالمساجد والقصور التي تضجّ بها الكتب[21]. وإنّما نسوق مثالا قلّما تنبّه إليه المصنّفون. ويتعلّق ببرك القيروان. يقول برانشفيق مترجما لما أورده عبد الباسط بن خليل في رحلته: "ثمّ تحوّلتُ إلى القيروان بظاهرها. ورأيت بركها المعدّة لمياه الأمطار. وكانت عدّة بقي منها واحدة معمورة تمتلئ بماء المطر. ومنها يستقي أهل القيروان"[22].

ولما كانت الصلة بين العمارة والعمران، فإنّ الحديث عن فنّ العمارة يلحق غالبا بالإخبار عن المدن. وحين يترجم المستعرب ذلك يتبيّن مدى التفوّق الحضاريّ الذي كان عليه الآخر. وينتقل المشهد عبر الترجمة إلى حضارة أخرى لم يكن أهلها ليتخيّلوا ذلك فكيف بمعرفته على وجه الحقيقة. وفي الإخبار عن تونس: "رأيت مدينة حسنة جليلة هائلة بديعة تقرب من دمشق في جفنها. ونزلت بدار بها بمكان يسمّى فندق الرماد"[23]. وفي وصف جزيرة جربة جاء قوله: "فرأيت جزيرة عجيبة في الجزائر قريبة من أحد جوانبها إلى البرّ الكبير خصبة جدّا ذات كروم وزيتون وغنم كثير وخير وافر وإلى قرب مينائها حصن منيع... وديارها في بساتينها. وليست بمدينة مسوّرة. بل مفرّقة الأبنية، أنيسة جدّا. مربّعة الشكل بوضع

غريب"[24]. وأمّا قابس فقال فيها: "دخلت إلى مدينة قابس بالقرب من القيروان. فرأيت مدينة عجيبة غير أنّها خربت جدّا وليس بها إلاّ القليل من الناس والعمارة"[25].

* **الصناعات**: ومنها صناعة الحصر والسجّاد. يقول برنشفيق: "وبسطها بالحصر الجيّدة الجديدة... ثمّ أحضرت سجّادة السلطان. وهي من سعف رفيع محكمة الصنعة..."[26]. ولا يغيب على ناظر في هذا الشاهد تأكيد خصلة الإتقان في الصناعة من خلال تعبيرين "الجيّدة" و"رفيع محكمة الصنعة". ومنها كذلك صناعة الزيت والنسيج. يقول برنشفيق: "فأوسق التجّار منها الزيت الكثير وأنواع الأكسية"[27].

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

2.3 المحاميل المعرفيّة: المحاميل الفنّيّة التي تضمّنتها المنجزات الترجميّة كثيرة. منها ما يتعلّق بما يمكن أن نطلق عليه المعرفة الاجتماعيّة التي ترتبط بالسلوك والتقاليد. ومنها المعارف التعليميّة التي تنهض بها مؤسّسات خاصّة.

* **التقاليد**: ومنها الاحتفاء بالضيف وإكرامه بالهديّة. يقول برنشفيق في نصّ ترجمته: "وجاء إليّ بعض أصحابي من تونس. وتأسّفوا على ما بلغهم من الجراحة... وبعثوا إليّ بأشياء من أنواع الهديّة. وأحسنوا. وتفضّلوا. وممّن جاءني عظيم التجّار بتونس صاحبنا سيدي أبو القاسم البنيوليّ"[28]. هناك نوع آخر من التقاليد التي تصحب موكب السلطان. منها إعداد مقصورة الصلاة بجامع الزيتونة له احتفاء به وخدمة له. وهو من أعمال ناظر الجامع: "فأمر بقمّ المقصورة... وبسطها بالحصر الجيّدة الجديدة وأطلق بها مجامر العود وأغلق بابها وشبابيكها ثمّ أحضرت سجّادة السلطان" [29]. ومنها فخامة موكبه عند صلاة الجمعة بجامع الزيتونة: "ثمّ حضر هو بأبّهة زائدة وبين يديه ولده وليّ عهده"[30]. ومنها استقبال الناس للسلطان واحتفاؤهم به "والناس تسلّم عليه بالسلطنة أو الخلافة على زعمهم. وكلّما اجتاز جماعة رفعوا صوتهم بقولهم: سلام نصركم الله... وكان يوما مشهودا"[31].

***العلوم**: وقد أترعت بها المنجزات الترجميّة. منها الفقه وأصوله والطبّ وعلم التراجم.

– الفقه وأصوله: يكاد الاتّفاق يكون تامّا بين المستعربين حول الإقرار بإفادة العالم الغربيّ من العلوم الإسلاميّة. وقد لا يتّفقون في درجة الإقرار أو صيغة الإعلان. إنّ الإقبال الكبير على الموروث الإسلاميّ الذي يعدّ الفقه أهمّ فروعه لبرهان قاطع على أهمّيّة هذا الموروث. كاد ليون برشي(Bercher, Léon)(1889-1955) يتخصّص في ترجمة كتب عيون في الموروث الفقهيّ الإسلاميّ وما تعلّق به من علوم السياسة الشرعيّة. يخبر برشي عن اهتمام العلم الغربيّ بعلوم الإسلام. فيقول: "العلم الغربيّ الذي احتفى، بكثير من التعاطف والانتفاع، بدراسات القانون الإسلاميّ، النظريّ أو التطبيقيّ، والذي قدّم في هذا الموضوع الواسع كثيرا من المصنّفات الأصيلة، بنشر آثار ذات سلطة في هذه المادّة أو ترجمتها، تبدو قد أهملت، رغم ذلك، علما ذا قرابة متينة بعلم القانون ذاته، والذي هو عند المسلمين، ليس أقلّ شرفا من هذه الأخيرة. إنّه علم أصول الفقه أو المنهجيّة القانونيّة"[32].

ترجم برشي أعمالا كثيرة تخصّ مجال الفقه والقانون. منها كتاب الجويني الموسوم ب**الورقات** دراسة المنهجيّة الشرعيّة الإسلاميّة[33]، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من **إحياء علوم الدين** للغزالي نشرته مجلّة إبلا تحت عنوان: **احتساب السلوك وفق الغزالي**[34]. و**تحفة الحكّام في نكت العقود والأحكام** لابن عاصم[35]، و**رسالة أبي زيد القيروانيّ**[36] وكتاب **الإسلام وأصول الحكم** لعلي عبد الرازق، الفصل الثالث[37]، و**على هامش الميثاق الأساسيّ، وثيقة غير منشورة**[38]: مراسلة قانونيّة بين أحمد بن أبي الضياف والجنرال حسين حول شبهة قانونيّة.

– الطبّ: لقد صرّح عبد الباسط بن خليل في مقدّمة كتابه في الرحلة إلى بلاد المغرب والأندلس بأنّه يرتحل طلبا لعلم الطبّ رأسا. وفي ذلك صورة مستنيرة لبلاد المغرب في العصر الوسيط.

وحين يترجم هذا الكتابَ المستعربُ برنشفيق يدرك حقيقة العلوم عند الأمم التي يحتلّها بنو قومه. ويعلم، وهو يترجم، أنّ هذا العلم قد حضر في مستويين اثنين: مستوى التدريس. إذ كان مادّة تعليميّة لها من يقوم على بثّها ولها من يتلقّاها. ومستى الممارسة الذي يتمّ فيه فعلا تفعيل هذا العلم وإجراؤه عمليّا. ومثال المستوى الإجرائيّ معالجة الزلدويُّ القاضي الطبيبُ بمعيّة الشيخ الصقلّيّ السلطانَ "على القانون المعتبر الطبّيّ"[39]. وهو كتاب **القانون في الطبّ** لصاحبه ابن سينا. وهناك مثال ثان إجرائيّ، ولكن بطريقة

عكسيّة: فقد دافع ابن البكّوش، قاضي القيروان في زمانه وطبيبها، عن حياض علم الطبّ من الأدعياء. فقد صحّح موقف السلطان وطرد الطبيب المنتحل المحتال[40]. أمّا المستوى التعليميّ ففيه طرافة لا ريب أنّها راقت لمترجم النصّ كثيرا. يمدح صاحب الرحلة الطبيب في كثير من التسامح وغير قليل من إنصاف الآخر "موشي بن سمويل بن يهودا الإسرائيليّ... لم أسمع بذمّيّ ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم..."[41]. ولا يخفي ملازمته إيّاه وتلقّي الإفادات العلميّة على يديه. بل يضاعف الثناء عليه بذكر خصاله الحميدة التي جعلت منه عالما معترفا بفضله. يقول: "ولازمت في الطبّ الرئيس الفاضل الماهر الأدرى الأقرأ موشي بن سمويل بن يهودا... لازمته مدّة. وأخذت عنه نبذة كبيرة نافعة في الطبّ وغيره"[42].

– علم التراجم :كما في **طبقات الأمم** المتقدّم ذكره. وقد عُدّ الكتاب أوّل مصنّف عربيّ في علم أنتروبولوجيا العالم. كما عُدّ كاتبه شاهدا على عصر بلغت فيه الحضارة الإسلاميّة بالأندلس أوجها من جهة وبدأت بوادر أفولها تظهر، من جهة أخرى. والناظر في الكتاب يدرك سبب إقبال بلاشير على ترجمته. فالإشكاليّة الأمّ التي ينهض عليها الكتاب هي مدى عناية الأمم بالعلوم. الباب الثالث: الامم التي لم تُعن بالعلوم. والباب الرابع: الأمم التي عُنيت بالعلوم. وهذا الباب هو جوهر الكتاب. فقد استفرد بأغلب الصفحات مقارنة بالأبواب الثلاثة الأولى التي، مجتمعةً، لم تتجاوز الصفحات الخمس. وهذه العلوم ذكرها، تباعا، كما ظهرت في الأمم: الهند والفرس والكلدان واليونان والروم وأهل مصر والعرب وفي الأندلس وختم بالعلوم في بني إسرائيل.

3.3 المحاميل الأدبيّة: من المحاميل الفنّيّة التي تضمّنتها المنجزات الترجميّة: الأدب: المقامة والشعر، مثلا.

* **المقامة**: احتفى[43] سلفستر دي صاسي(Silvestre de Sacy)(1758–1838) ومن بعده تلميذه قرسن دي طاسي(Gacin de Tassy)(1794–1878) بمقامات الحريريّ نشرا وشرحا. ونشر بعدهما، برشي، وكان مطّلعا على عمل دي صاسي، تحت عنوان كبير **الجواهر الأدبيّة**، وعنوان فرعيّ: **مقامة الحريريّ الخامسة والثلاثون**[44] ، ترجمة للمقامة الشيرازيّة[45]. وقد ألحقها بشروح وتعاليق. ويشير إلى اعتراض دي صاسي على الحريري في استعمال "لا يناهز العمرين" حيث يقول: "يحاول

دي صاسي في شرحه تعليل هذا التركيب الزائد عن الحاجة. ولكنّه يعترف أنّ الحريري كان عليه استعمال تركيب آخر"[46]. وإنّما إيراد برشي هذا النوع من التعليق يمكن أن يعلّل برغبته في تقريب المسافة بين النصّ العربيّ والمتلقّي الفرنسيّ، وبسعيه إلى تقليص الفجوة الحضاريّة الناجمة عن خصائص لغة كلّ منهما. هذا النوع من التعليق الذي يعود إلى الذائقة اللغويّة عند الآخر وعدم تسليمه باختلاف اللغات في التعبير عن المعاني لم يمنع برشي من خوض غمار التعليق هو الآخر والوقوع في الخطإ. يقول تعليقا على قول الحريري "المرء بأصغريه" يورد برشي في الهامش ما يلي: "التعبير الكامل يمثّل حكمة معروفة جدّا "المرء بأصغريه قلبه ولسانه"..."[47]. ولئن أشّر على سريان الحكمة في الأدب العربيّ ومن ثمّ في العرب، فإنّه وقع في الخطإ حين نسب البيت لأبي الفضل الرياشي(ت257هـ) وهو راوية شعر وليس بشاعر. فالبيت مثبت في معلّقة شاعر الحكمة الجاهليّ، زهير بن أبي سلمى[48].

ومن الطريف أنّه يثير مسألة لغويّة ذات أثر حضاريّ موجّه لمسار التثاقف. يتناول في مستوى الشرح الفعل "قتل". فيقول: "كلّ شيء يتوقّف على الدلالة الثنائيّة للفعل قتل الذي يدلّ معا على القتل وعلى مزج الخمرة الصافية بالماء. يمكننا أن نتساءل كيف يمكن للفظة واحدة أن تقبل معاني متباعدة جدّا ولا تبدو بينها أيّة علاقة. وعند التفكير ندرك أنّ الغرابة أظهر من كونها حقيقيّة... ألا نقول بالفرنسيّة، بصفة مماثلة، أنّا "نطفئ" الجير بإضافة الماء إليه"[49]. ولا يخفى على ذي نظر هذا التوجّه نحو إرساء أسس كونيّة في دلالة الكلمات رغم اختلاف الألسن.

* **الشعر**: والأمثلة فيه كثيرة. فقد ترجم أبريبا، كما تقدّم، قصيدة الأمير عبد القادر الجزائريّ، يقال إنّ الأمير قد نظمها إجابة عن سؤال ألقاه عليه أحد أعيان الفرنسيّين : هل البدو أفضل أم الحضر؟[50]. وترجم بلاشير، مثلما تقدّم، من شعر المتنبّي في أطروحته للدكتوراه. ونظر مشويل في **لاميّة العجم** للطغرائيّ(ت 504هـ): دراسة وترجمة[51]. يقال إنّها مازالت بخطّ يده في دار الكتب الوطنيّة بتونس. يقول مشويل: "تحظى قصيدة لاميّة العجم بشهرة واسعة عند المشارقة... كلّ عربيّ يفخر بالأدب يحفظها عن ظهر قلب... لأنّ الكثير من أبياتها تتضمّن تفكيرا فلسفيّا أو أخلاقيّا وتمثّل حِكما وأمثالا"[52]. ويثمّن جهود الطغرائيّ العلميّة والأدبيّة كما لو كان يضع الإصبع على معين ثرّ مشهود له في حضارة العرب

والمسلمين، ويدعو، من وراء ذلك متلقّي خطابه إلى خوض تجربة الترجمة فيه إمتاعا وإفادة. يقول: "نعلم أنّه... قام بدراسات جدّيّة جدّا، وأنّه عمّق القانون والنحو وخاصّة الأدب العربيّ الذي يعرف أسراره كلّها"[53]. والملاحظ أنّ هذا المستعرب، تماما كنظرائه، لا ينفكّ يُنمي العلوم إلى اليونان دومنا ذكر لإضافات المسلمين إليها.ها هو قوله في حذق الطغرائيّ لعلم الكيمياء: "وكان، كذلك، ذا موهبة في دراسة العلوم وخاصّة الكيمياء التي تعلّمها من ترجمة الآثار اليونانيّة"[54].

وقد تفطّن مشويل إلى قيمة ديوان الطغرائيّ عامّة وقصيدته لاميّة العجم، تحديدا من جهة تضمّنها لترسانة من القيم الإنسانيّة الكونيّة الخالدة التي تمثّل أساسا متينا في تنشئة الإنسان وبناء الحضارة. يقول المترجم: "يحتوي ديوانه قطعا كثيرة يطلب فيها من أبنائه حبّ الدراسة وتطبيق الفضيلة والاتّحاد... وينصحهم في أبيات جميلة لاحقة بأن يضعوا العلم فوق الثروة"[55]. ولا يخفي مشويل استناده غلى شارح ديوان الطغرائيّ وهو الصفدي. يقول: "اتّبعنا بصفة عامّة في ترجمتنا التأويلات التي قدّمها هذا الشارح" [56]. ولا شكّ أنّ المنجز الترجميّ لا يرقى إلى النصّ الأصليّ. إذ تظلّ الكفاءة الترجميّة محلّ سؤال. ففي تعليقه على البيت الثاني عشر الذي يقول الطغرائيّ فيه:

طردتُ سرح الكرى عن ورد مقلته * * * والليل أغرى سوام النوم بالمقلِ

فقال: "في النصّ العربيّ صورة جميلة يرفضها الذوق الفرنسيّ. وها هي الترجمة الحرفيّة لهذا البيت: طردت قطيع النوم بعيدا عن بؤبؤ عينيه والليل يلزم قطيع النوم (بأن يتعلّق) ببؤبؤ عينيه"[57]. وهي إشارة طريفة تثير مرّة أخرى مسألة تذوّق الشعر من جهة واستيعاب الصورة من جهة أخرى. لكنّ هذا يظلّ تنبيها على وجوب الفهم بدل الرفض المبدئيّ.

4 أبعاد المنجز الترجميّ تثاقفيّا:

نعثر في معجم فيريول، وهو من المعاجم المعتمدة في الدراسات الحضاريّة الاجتماعيّة على تعريف للتثاقف يثير انتباهنا من جهة ربطه التثاقف بأشكال الغزو والهجرة. ورغم أنّ فيريول حاول تقديم تعريف للتثاقف أراده أن يكون جامعا مانعا، فإنّه قد تجاوز التعريف إلى تعداد الأشكال التي يكون عليها فالتثاقف اتّصال بين إثنيّات مختلفة بعد غزو أو هجرة، جوهره التغيّر وأشكاله: تبادل أو اقتراض، مواجهة

أو نبذ، تمثّل أو تكيّف، توفيق أو إعادة تأويل[58]. ومن هنا يمكننا استخلاص جملة أبعاد يمكن أن تنبثق عن أشكال التثاقف هذه. فالمرء فردا أو مجتمعا حين يلتقي الآخر ليس بوسعه صرف نفسه، في حدّ أدنى، عن ملاحظة الآخر سلوكا وسمتا، فكرا ولغة. ولما كان التلاقي بين الشعوب ليس رهين انتقال الأجساد، فإنّ ارتحال المعرفة كفيل بتحقيق ذلك التلاقي ومن ثمّ حدوث التثاقف. والسؤال هنا كيف يمكن للترجمة أن تكون آليّة فعّالة من آليّات التثاقف؟ ترتحل المعرفة عبر وسيط الترجمة، بغضّ النظر عن تنسيبها، وطبيعة المحمول المعرفيّ. ولا تدرك آثار هذه الآليّة التثاقفيّة إلاّ من خلال ما تثيره من مسالك وما تثريه من أبعاد. فبالترجمة يشعّ المترجم على الآخر وبها يستقطبه وبها كذلك يمكنه إكسابها بعدا وظيفيّا علميّا كان أو استعماريّا.

1.4 البعد الإشعاعيّ: ويكون باتّجاهات ثلاثة: معرفة الآخر والتعريف به وأمّا التعريف بالذات فيكون تبعا لذلك.

* معرفة الآخر: يساهم المنجز الترجميّ في معرفة الآخر. وذلك بالحفر في النصوص مهما اختلفت أجناسها أو مجالات اهتمامها. فأيّ صورة، مثلا، ترسّخت في ذهن هذه الكوكبة من المستعربين الذين تصدّوا للعربيّة لغة وأدبا وحضارة بالترجمة؟ أيّ صورة حملها برشي عن الآخر؟ أدرك برشي، وهو يعالج نصوصا تراثيّا عربيّة إسلاميّة، بل مصنّفات عيونا في المدوّنة الفقهيّة المالكيّة خاصّة، أنّ هذه الحضارة قد تأسّست على مقوّمات تشريعيّة متينة تنظّم الوجود الإنسانيّ وتحفظه من الوقوع في الخلل والزلل، وأنّها ذات فقه أصيل، وشامل لأحوال الذات وعلاقاتها بذاتها وبخالقها وبالآخر أيّا كان، وقابل للتطوّر لا صلة له بالفلكلور والفكر الخرافيّ كما كان الاعتقاد سائدا عند الأروبيّين في العصور الوسيطة. ومن هنا كانت إفادة من الفقه المالكيّ، مثلا، في صياغة القانون المدنيّ الفرنسيّ. ويذهب بعض الدارسين إلى نسبة التماثل تبلغ تسعة أعشار الموادّ القانونيّة التي تتجاوز الألفيْ مادّة. وقد كتبت في الغرض باللسان العربيّ مصنّفات ضخمة[59] وأطاريح جادّة[60]. وجميعها من علامات التثاقف وتداعياته التي تدخل في الإشعاع المعرفيّ بين ضفّتي المتوسّط أخذا وعطاء.

* التعريف بالآخر: تنهض الأعمال المترجمة بهذه الوظيفة غير المباشرة في الغالب. فالمترجم ينقل نصّا من لغة أصل إلى لغة ثانية ويخوض تجربة عصيّة لا يحقّق من ورائها طائلا ما لم يكن متملّكا لأسرار اللغتين فحسب، وإنّما أسرار ثقافتين احتضنتا تلكما اللغتين. ويكون المترجم بذلك ذا رؤية حصيفة في التعرّف على الآخر بما يفيده وقومه في الكيفيّات التي بها يتعاطى مع الآخر. يقول هودا مترجما للأحاديث النبويّة الشريفة: يقول: "من المهمّ في كلّ الأحوال أن نعرف هذه المعتقدات معرفة أعمق وتجنّب رضّات دائما غير مجدية وغالبا خطيرة كلّما باشرنا في العالم الإسلاميّ إصلاحا ما يمسّ بالمجال السياسيّ أو القضائيّ أو حتّى الاقتصاديّ"[61].

أمّا برنشفيق الذي عالج نصّ رحلة. فذهل ممّا حواه. فأيّ صورة نقلها إلى بني قومه عن الآخر؟ نتوقّف هنا عند ميزة تبيّنها برنشفيق وهو ينقل نصّ رحلة ابن خليل إلى قومه بلغتهم. هذه الميزة تتمثّل في الإتقان والمعياريّة. وقد تجلّت في جلّ ما التقطته عدسة الرحّالة. ونمثّل لذلك بضيافة شهدها في رأس الطابية. يقول فيها: فرأيت هذا الجنان في غاية الإتقان والحسن وبه مكان كالقصر برسم السلطان ثلاث طباق، عظيم إلى الغاية أنيق البناء... على صفة غريبة وهيئة عجيبة"[62]. ثمّ ينتخب من المرئيّات عيّنة تجمع بين دقّة الهندسة وجماليّة التركيب. فيقول: "وبه شيء يقال له المحنّشة برسم جريان الماء فيه نقر في حجر كالرخام يدخل الماء إليه من جهة ثمّ يجول فيه جولانا غريبا في أوضاع محفورة نقرا في هذه البلاطة على هيئة دائرة واسعة متداخلة النقور بديعة الصفات تسرّ الناظر وتشرح الخاطر..."[63]. يرتحل هذا النصّ إلى المتلقّي الأجنبيّ فيعلم حقّ العلم أنّ من يقطنون الضفّة الجنوبيّة للبحر المتوسّط ذوو ثقافة فنّيّة وأصحاب علم متين وذوق بديع، وفنّ الحياة عندهم متقدّم قابل لأن يكون مثالا يحتذى.

* التعريف بالذات: إذا كانت الذات هي آخر الآخر وجب انبثاق الحسّ التثاقفيّ منها. والمترجم قبل الترجمة وزمنها وبعدها لا ينفكّ عن محاولة التقريب بين عالمين مغايرين ممثّلين في لغتين وثقافتين لا تبدو، في الوهلة الأولى، بينهما أيّة صلة. وعلى قدر بلوغه القاسم المشترك بينهما تكون نجاعة فعله الترجميّ ويبتدئ، حينئذ، التعريف بالذات. فبرشي، مثلا، هذا الذي جاب بلاد المغرب منذ أن انتدب فيها مترجما عسكريّا، ثمّ حطّ في الغرب الجزائريّ، استقرّ في نهاية المطاف في الجنوب التونسيّ، وترأّس في

1921 قسم الترجمة في الكتابة العامّة للحكومة التونسيّة. وقدّم دروسا في الترجمة في المعهد الصادقيّ وفي المدرسة العليا للغة والآداب العربيّة. ومن هنا ذاع سيطه. فقد ألقى محاضرة في المذياع نشرتها المجلّة الزيتونيّة. يقول شاكرا من مدح جهوده وجهود نظرائه، وفي ذلك ما فيه من التفاعل بين ممثّلين مختلفين لضفّتي المتوسّط: "إنّ هذا الاعتراف بفضل المستشرقين الصادر من مؤلّف شرقيّ جدير بشكرنا وامتناننا نحن معشر المستعربين ولو كان فيه ما فيه من المبالغة. إذ أعمال المستشرقين كسائر الأعمال البشريّة...".

2.4 البعد الاستقطابيّ: ويقوم خاصّة على تنشيط حركة السياحة والاستيطان. لقد وفّرت الترجمة باعتبارها نشاطا متعدّد الوظائف، فهي أداة وصل بين اللغات وإيصال للمعارف والثقافات ووسيلة اتّصال بين الشعوب وتواصل بينهم، وفّرت بفضل تلك المزايا جميعها، مادّة معرفيّة ذات جاذبيّة خاصّة. هي في الواقع جاذبيّة الجديد والغريب والطريف. ومن هنا كانت ذات بعد استقطابيّ لا يقبل المنافسة لاسيّما في الحقبة التي راج فيها نقل التراث العربيّ الإسلاميّ، ترجميّا، إلى غير اللغة العربيّة. ولقد وظّفت حكومة الاحتلال هؤلاء المستعربين بفضل جهودهم الترجميّة غير المسبوقة في الغالب، في سبيل جلب الفرنسيّين إلى المستعمرات استكشافا واستثمارا واستيطانا.

ومن البعثات الكشفيّة إلى تونس، مثلا، تلك التي كُلّف بها المستعرب هنري صلدان(Saladin, Henri) (1851-1923)[64] المختصّ في فنّ العمارة الإسلاميّة التونسيّة تحديدا. ولا يخفى علينا ما يتبع ذلك من التزيّي بزيّ الأهالي واتّباع تقاليدهم واستخدام وسائلهم في العيش والسكن ممّا تفرضه البيئة والمناخ.

ومن وجوه الاستثمار الذي يستتبعه الاستيطان في كثير من الأحيان السياحة. فقد تحرّكت الجهود بهذا الاتّجاه. فأقيمت مؤتمرات السياحة والصيد الاستعماريّة[65]. ونُشر دليل السياحة في الصحراء. وهو مجموعة نصوص إرشاديّة وتعليميّة وخرائط ومخطّطات[66]. وضجّ البحر الأبيض المتوسّط بحركيّة سياحيّة ملحوظة عبّر عنها وذكر أسبابها ونتائجها أرثر بلّقران (Arthur Pellegrin)(1891-1956) في كتابه السياحة في تونس[67].

ولعلّ ما يشهده العالم اليوم من الهجرة باتّجاه أروبّا، شرعيّة كانت أم غير شرعيّة، ليست سوى أحد تداعيات عمليّة التثاقف التي تمّت في عقود سابقة إضافة إلى مشروع العولمة وتطوّر تكنولوجيا الاتّصال. فتعلّم لغة أجنبيّة أصبحت متجذّرة في لغة التخاطب اليوميّ ينضاف إليها السلوك العامّ العالميّ والسمت الظاهر، من شأنه أن ينتج، مجتمِعا، قطبَ جذب باتّجاه دول الغرب ودول الشرق مع فوارق في الزمن والدوافع والأهداف.

3.4 البعد التوظيفيّ: هناك العلميّ أو الاستعماريّ

* البعد التوظيفيّ العلميّ: أيّ أثر لعمل بلاشير الترجميّ المتعلّق بمعاني القرآن الكريم في العالمين الشرقيّ والغربيّ؟ عالج بلاشير النصّ القرآنيّ ترجميّا وحاول نقل معانيه بلغته الفرنسيّة. فكانت ترجمة عام 1950 وفق رؤية تقوم على إعادة ترتيب سور القرآن الكريم وفق نظام نزولها. ولكنّه سرعان ما تراجع عن ذلك فكانت نسخة كتابه عام 1957. لقد بشّر بلاشير بأنّ ترجمته للنصّ المؤسّس في الإسلام ستكون رائدة. لا من جهة التعريف بالقرآن في مقدّمة كتابه حين قال: "كتابُ الإسلام المقدّسُ المسمّى القرآن (والذي جعلناه Coran) يتضمّن، نعرف ذلك، الوحي الذي تلقّاه محمّد ما بين 621 تقريبا و632 من الميلاد، في مكّة أوّلا ثمّ في المدينة"[68]. ولكن من جهة التناول التاريخيّ الذي رأى فيه سبيلا لفهم القرآن. يقول: "لنفهم تاريخيّا كتاب المسلمين المقدّس يمكن أن نرغب في محاولة قراءته بالعودة إلى ترتيب الوحي الزمنيّ الذي يكوّنه"[69].

وقد تفطّن علميّا أنّ تعليلاته في اعتماده ترتيب السور كما نزلت واهية. كان يرى الترتيب المتعارف عليه في المصحف خاضعا للكمّ بحيث تقدّم السور الطويلة على القصيرة. وفي هذا مجانبة للصواب. وكان يرى فهم السور لا يكون بغير ترتيب النزول. وأدرك فيما بعد خطأ تصوّره ذاك. لقد دفع هذا النوع من الترجمة القائمة على خلل منهجيّ بيّن بأهل الاختصاص في الشرق والغرب إلى الكتابة في الغرض استحسانا أو استهجانان معاضدة أو معارضة. وبهذا يكون بلاشير بترجمته قد دفع البحث العلميّ أشواطا وخلق مجالا تنافسيّا تفاعليّا تثاقفيّا عظيما.

* البعد التوظيفيّ الاستعماريّ: شارك وليام مرصي أستاذه أكتاف هودا في ترجمة **صحيح البخاريّ**، كما تقدّم. وكان عملا ضخما تجاوزت مجلّداته الألفيْ وثمانمائة صفحة بالإضافة إلى جهاز مصاحب من الفهارس والشروح والتعليقات. وذاع صيت الأستاذ وتلميذه بفضل جهود الترجمة تلك التي ارتحلت بها معرفة الحديث النبويّ الشريف رواية ودراية إلى مراكز البحث في فرنسا. فما كان من المتنفّذين الفرنسيّين علميّا وسياسيّا إلاّ أن يعوّلوا على مرصي بعد وفاة هودا. وعلا نجم مرصي وكان توظيفه علميّا في مهامّ كثيرة. وكان قد انتدب إلى ترأّس، مؤتمر اللغة والآداب والفنون العربيّة (1931) المنعقد في تونس، باقتراح من مجلس الأمّة الفرنساويّ وهو مؤتمر على غاية من الأهمّيّة. إذ كانت اللغة العربيّة فيه مستهدفة. وقد حضر أعلام ومستعربون من المغارب الثلاثة. مثل عبد الحيّ الكتّاني(ت 1962) ومحمّد الحجويّ (ت 1956م) وليفي بروفنصال(Lévi-Provençal)(1894-1956) من المغرب الأقصى. كان المؤتمر ذا صبغة رسميّة. إذ ترأّسه، شرفيّا، ملك تونس والوزير المقيم الفرنسيّ. وقد تكوّن المجلس من كوكبة من المستعربين الفرنسيّين ورئيسهم، يومها، وليام مرصي. واللافت للنظر أنّ مؤتمر اللغة هذا توسّط مؤتمرين خطيرين: المؤتمر الأفخارستيّ[70] (1930) والمؤتمر الدوليّ للتعليم الاستعماريّ. وهذه المؤتمرات الثلاثة موظّفة توظيفيّا استعماريّا يستهدف الهويّة لغة وعقيدة ووطنا. لقد أقبلت حضارة الآخر بثقلها لتحدث أثرا بل آثارا عميقة في بنية المجتمع التونسيّ، فالمغاربيّ، فالعربيّ الإسلاميّ.

5. خاتمة:

* **خلاصات**: في ثلاث:

أ. ساهم المستعربون في مجال التثاقف بين ضفّتيْ المتوسّط بجهود ترجميّة معتبرة.

ب. برهن المستعربون على قدرة فائقة في نقل صورة الآخر المتعدّدة الأبعاد ترجميّا.

ج. ارتحل الموروث العربيّ والإسلاميّ إلى أروبا، العلميّ منه والأدبيّ. فكان التفاعل أخذا وعطاء.

* **استنتاجات:** في ثلاث:

أ. دلّ النظر في المنجز الترجميّ على وعي حقيقيّ بخصوصيّة الثقافيّة العربيّة الإسلاميّة لكنّ اللغة والمنهج حالا دون نقل معرفيّ سليم.

ب. كشف التعاطي مع أعمال المستعربين في الترجمة عن مراوحة بين رغبة علميّة محض تقود إلى تعارف وتثاقف وبين سعي نحو توظيف المعرفة للهيمنة الاستعماريّة.

ج. أشعّ المستعربون على عالمهم بما ترجموا من حضارة الشرق واستقطبوا الخاصّة والعامّة غير أنّهم لم يراهنوا على ظهور خطّ مواز للاستعراب هو الاستغراب.

* **توصيات:** في ثلاث:

أ. توجيه البحث الأكاديميّ نحو الاستعراب باعتباره مجالا تثاقفيّا ما يزال مغمورا.

ب. تفعيل شراكات علميّة بين مراكز بحث شرقا وغربا تدفع بالتثاقف بين ضفّتيْ المتوسّط إيجابيّا.

ج. إنجاز قاعدة بيانات في الأعلام العرب والغرب الذين أسّسوا للتعايش السلميّ عبر التاريخ.

6. قائمة المراجع:

* أبو القاسم صاعد بن أحمد، الأندلسيّ، **طبقات الأمم**، نشره وذيّله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّين، بيروت، 1912.

* عبد الرحمان، بدوي، موسوعة المستشرقين، طبعة جديدة منقّحة ومزيدة، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993.

* حمظة، بن خدّة، أثر الفقه المالكيّ في القانون المدنيّ الفرنسيّ: العقد نموذجا، دكتوراه، جامعة أبو بكر بالقايد، الجزائر، 2017-2019(غير منشورة).

* الأمير عبد القادر، الجزائريّ، الديوان، جمع وتحقيق وتقديم: العربي دحو، منشورات ثالة – الأبيار– الجزائر، 2007.

* سيّد عبد الله علي، حسين، المقارنات التشريعيّة بين القوانين الوضعيّة المدنيّة والتشريع الإسلاميّ، مقارنة بين فقه القانون الفرنسيّ ومذهب الإمام مالك، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، 2001.

* الحسين بن أحمد، الزوزني، شرح المعلّقات السبع، الدار العالميّة، 1993.

* نجيب، العقيقي، المستشرقون: موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتّى اليوم، دار المعارف، مصر، 1964.

* جيل، فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة وتقديم: أنسام محمّد الأسعد ومراجعة: بسّام بركة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2011.

* فتحي، القاسمي، الجدل الدينيّ في تونس (1875-1931) قراءة تحليليّة نقديّة، دكتورا الدولة، كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات، جامعة منّوبة-تونس، 2004-2005(غير منشورة).

* نجاة، قرفال، "ترجمة الرحلة وأبعادها العلميّة(مقتطفات من رحلة عبد الباسط بن خليل ترجمة المستعرب روبار برنشفيق)"، سلسلة الترجمة والمعرفة، عالم الكتب الحديث(مرّاكش)، 2019، العدد 11، صص290-313.

* مقال:

* علي بن محمّد، الحريري، مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1978.

* مخلوف، المنياوي، المقارنات التشريعيّة، تطبيق القانون المدنيّ والجنائيّ على مذهب مالك، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، 2000.

* Abribat, Jules. *Un morceau de poésie d'Abdelkader : Le séjour des villes est-il préférable à la vie nomade ?, Revue Tunisienne*, 7è Année, N° 26, Avril, 1900, pp. 180-183.

* Bercher, Léon, *Trente-cinquième séance de Hariri dite de Chiraz*, Revue Tunisienne, 29, 1922, pp. 257-261

* Blachère, Regis, *Un poète arabe du IVe siècle de l'hégire(Xe siècle de J.-C.) : Abou T-Tayyeb-Al-Motanabbi(Essai d'histoire littéraire)*, Paris, Adrien-Maisonneuve, 1935

*……*Le Coran (al-Qo'rân),* Paris, G.P. Maisonneuve et Larose , 1966.

* Boukhari, Muhammad ibn Isml al- (0810-0870). *Les traditions islamiques, El Bokhâri* ; traduites de l'arabe, avec notes et index, par O. Houdas et W. Marcais, Paris, Imprimerie nationale, E. Leroux, éditeur, 1903-14.

* Brunschvig, Robert, *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVe siècle ʿAbdalbāsiṭ b. Ḫalīl et Adorne* Paris : Larose, 1936.

* Machuel, Louis, *Traduction du poème arabe d'Ettoughraï (Lamiat eladjem)*, Revue Tunisienne, T VI, pp.171-179.

* Pouillon. Francois, *Dictionnaire des orientalistes de langue française* ,François Pouillon(éd.), nouvelle édition revue et augmentée, IISMM –KARTHALA, 2012.

كمارا، فودي سوريبا، "دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسيّة التي أعدّها رجيس بلاشير":

https://www.moswrat.com/books_view_24174.html

(consulté le 06/06/2019)

7.الهوامش

[1] أبريبا، جول(Abribat, Jules)(1858-1931)
برشي، ليون(Bercher, Léon)(1889-1955)
برانشفيق، روبار(Brunschvig, Robert)(1901-1990)
بلاشير، رجيس(Blachère, Régis)(1900-1973)
هودا، أكتاف(Houdas, Octave)(1840-1916)

[2] انظر: قرفال، نجاة، ترجمة الرحلة وأبعادها العلميّة(مقتطفات من رحلة عبد الباسط بن خليل ترجمة المستعرب روبار برنشفيق)، سلسلة الترجمة والمعرفة، العدد 11، عالم الكتب الحديث، 2019، صص290-313.

[3] "نصّا رحلة" ترجمة ل"Deux récits de voyage". تخيّرنا لفظة: النصّ لشمولها وتجاوز دلالتها لأيّ جنس أدبيّ معيّن.

[4] هذه الرحلة مقتطعة من كتابه الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم المعروف بتاريخه الكبير.

[5] Brunschvig, Robert, *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVe siècle ʿAbdalbāsiṭ b. Ḫalīl et Adorne* Paris : Larose, 1936, p. 1.

[6] Abribat, Jules.(1900). *Un morceau de poésie d'Abdelkader : Le séjour des villes est-il préférable à la vie nomade ?, Revue Tunisienne*, 7è Année, N° 26, Avril, 1900, pp. 180-183.

[7] الأمير عبد القادر الجزائري (ت 1883). عن سيرته البطوليّة في مكافحة الاحتلال الفرنسيّ في الجزائر، انظر، مثلا، مجاهد، مسعود، تاريخ الجزائر، مدوّنة سيدي ابن عزّوز الجزائر، د. ت، ج 1، ص 27 وما يليها.

وشهادات غير المسلمين فيه كثيرة لا سيّما في ربطه بين ضفّتي المتوسّط. انظر، مثلا:

[1].Bellemare, Alex.(*Abd-el-Kader sa vie politique et militaire/2.* Daumas, Eugène. *Correspondance du capitaine Daumas/3.*Depont, et Coppolani. *Les confréries religieuses/4.* Faucon, Narcisse. *Le livre d'or de l'Algérie/5.* Roches Léon. *Trente-Deux Ans A Travers/6.* Yver, Georges. Abdelkader et le Maroc.

[8] الجزائريّ، الأمير عبد القادر، الديوان، جمع وتحقيق وتقديم: العربي دحو، منشورات ثالة – الأبيار– الجزائر، 2007، ط 3، ص 50.

[9] Bukhari, Muhammad ibn Isml al- (0810-0870). *Les traditions islamiques, El Bokhâri* ; traduites de l'arabe, avec notes et index, par O. Houdas et W. Marcais, Paris, Imprimerie nationale, E. Leroux, éditeur, 1903-14.

[10] نجيب، العقيقي، المستشرقون: موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتّى اليوم، ط3، مصر، دار المعارف، 1964، ص219.

[11] بدوي، عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين، طبعة جديدة منقّحة ومزيدة، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص127.

[12] Boukhâri , *Les traditions islamiques*, trad, T2, op. cit, p. IV.

[13] Pouillon. Francois, *Dictionnaire des orientalistes de langue française*, nouvelle édition revue et augmentée, IISMM –KARTHALA, 2012, p. 120.

[14] يترجم، كذلك، ببير المبجّل/بطرس المحترم/بطرس المبجّل.

[15] يقول بلاشير عن هذه الترجمة في مقدّمة كتابه عن القرآن ص 10: "وكان طلبه لترجمة القرآن استمرارا لروح الحروب الصليبيّة، ومن جهة أخرى لحاجته إلى ما يمحو به أيّة آثار مازالت عالقة بذهن المسلمين الأسبان الذين تمّ تنصيرهم حديثا. ويبدو أنّ الترجمة التي تمّت في مدينة طليطلة لم تكن أمينة بالمرّة وكانت غير كاملة". نقلا عن كمارا، فودي سوريبا، دراسة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسيّة التي أعدّها رجيس بلاشير: https://www.moswrat.com/books_view_24174.html

[16] لا نشير هنا إلى النقائص الترجميّة والمنهجيّة التي كان لهودا نصيب منها.

[17] Boukhari, *Les traditions islamiques*, T4, op.cit, p. VII.

[18] Blachère, Regis, *Un poète arabe du IV^e siècle de l'hégire(X^e siècle de J.-C.) : Abou T-Tayyeb-Al-Motanabbi(Essai d'histoire littéraire)*, Paris, Adrien-Maisonneuve, 1935.

[19] الأندلسيّ، أبو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، نشره وذيّله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّين، بيروت، 1912.

[20] بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، طبعة جديدة منقحة ومزيدة، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص 127.

[21] لمزيد النظر في دور فنّ العمارة الإسلاميّة حضاريّا بالإمكان الاطّلاع على هذا المقال: قرفال، نجاة، الوصل بين العلوم الصحيحة والإنسانيّة في الرؤية الاستعرابيّة: فنّ العمارة الإسلاميّة التونسيّة عند هنري صلدان، مثالا، مقال نشر في كتاب أعمال الندوة العلميّة الدوليّة: أيّ دور للعلوم الإنسانيّة في الترقّي بالمجتمع؟ 25-27 أفريل

2019، مخبر تجديد مناهج البحث والبيداغوجيا في الإنسانيّات بكلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بالقيروان، جامعة القيروان-تونس، صص 91-123.

[22] Brunschvig, *Deux récits de voyage*, op.cit, p. 36.
[23] Ibid , p.17.
[24] Ibid , p.36.
[25] Ibid , p.37.
[26] Ibid , p.32.
[27] Ibid , p.36.
[28] Ibid , p.68.
[29] Ibid , p.32.
[30] Idem.
[31] Brunschvig, *Deux récits de voyage inédits* en Afrique du Nord, op.cit, p. 32.
[32] Bercher, Léon, *Le Kitâb al-Waragât*, op.cit, pp. 93.105, 185-214
[33] Bercher, Léon, *Le Kitab al-Waraqat JUWAYNI, traité de méthodologie juridique musulmane*, traduit et annoté, Revue Tunisienne, 32, 1930, p. 93.105, 185-214.
[34] Bercher, Léon, *La censure des mœurs selon Gazzâli*, Ibla, A 18, N° 71, Trim 3, 1955, p. 313-321.
[35] أبو بكر، محمّد بن عاصم، تحفة الحكّام في نكت العقود والأحكام، (ترجمة: ليون بارشي)، (د. ط)، الجزائر، كلّيّة الآداب، 1958.
[36] Bercher, Léon, *La Risâla d'Ibn Abî Zayd al-Qayrawani*, Alger,B.E.A, 1945
[37] Abdurraziq, Ali, *L'Islam et les bases du pouvoir*, trad : Bercher, Léon, Extrait de la revue des Etudes Islamiques,…..Chapitre III, Paris, Librairie Orientaliste, Paul Geuther, 13 rue Jacob, 1933.
[38] Bercher, Léon, *En marge du pacte fondamental, document inédit*, *Revue Tunisienne*, 37, 1939, pp. 67-86.
[39] Brunschvig, *Deux récits de voyage*, op.cit, p. 96.
[40] Ibid, p. 98.
[41] Ibid, p. 44 .
[42] Idem.
[43] Silvestre de Sacy, *Les séances de Hariri, publiées en arabe avec un commentaire choisi*, Paris, 1822.
[44] Bercher, Léon, *Trente-cinquième séance de Hariri dite de Chiraz*, Revue Tunisienne, 29, 1922, pp. 257-261.
[45] الحريري، علي بن محمّد، مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1978، صص 286-290.
[46] Bercher, *Trente-cinquième séance*, op. cit, p. 257.
[47] Ibid, pp. 257-258.

[48] انظر: الزوزني، الحسين بن أحمد، شرح المعلّقات السبع، الدار العالميّة، 1993، ص 84.

[49] Bercher, *Trente-cinquième séance*, op. cit, pp. 261.-262

[50] قصيدة ماتعة. ولعلّ من المفيد اختزال محتواها الضارب في مسألة التثاقف: وازن الأمير بين متلقّ مفرد: أنت وباثّ جمع: نحن. ثمّ وسمه، هجاءً، باللوم والذمّ والجهل وانعدام التجربة. ووصف الذات الجماعيّة، فخرا، بمنظومة قيميّة هي: قيم الحياة والفنّ والفكر والجمال والعطاء والبقاء: (الصيد والرحيل والفروسيّة والموسيقى والنقل والعقل والإبل والخيمة والإغاثة والملك والتسامح والكرم والثروة والصحّة وطول العمر).

[51] Machuel, Louis, *Traduction du poème arabe d'Ettoughraï (Lamiat eladjem)*, Revue Tunisienne, T VI, pp.171-179.

[52] Machuel, *Traduction du poème arabe*, op. cit, p.171.

[53] Idem.

[54] Idem.

[55] Ibid, p.173.

[56] Ibid, p.174.

[57] Ibid, p.176, (Note1).

[58] فيريول، جيل، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة وتقديم: أنسام محمّد الأسعد ومراجعة: بسّام بركة، ط 1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2011، ص 29. والشاهد على وجه التدقيق هو: "التثاقف... وهو يدلّ بشكل أشدّ جوهريّة على العمليّات والتغييرات التي تسبّبها التفاعلات أو الاتّصالات المباشرة والمستمرّة القائمة بين مجموعات إثنيّة مختلفة، والتي تحدث إثر اجتياح أو استعمار أو هجرة، وسواء تعلّق الأمر بالتبادل أو بالاقتراض أو بالمواجهة أو بالنبذ أو بالتمثّل أو بالتكيّف أو بالتوفيقيّة أو بإعادة التأويل". العنوان الأصليّ:

Ferréol, Gilles, *Vocabulaire de la Sociologie*, Presses Universitaires de France, 1995.

[59] انظر مثلا: مخلوف المنياوي، المقارنات التشريعيّة، تطبيق القانون المدنيّ والجنائيّ على مذهب مالك، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، 2000. صص 5-11-16 مثلا. وسيّد عبد الله علي حسين، المقارنات التشريعيّة بين القوانين الوضعيّة المدنيّة والتشريع الإسلاميّ، مقارنة بين فقه القانون الفرنسيّ ومذهب الإمام مالك، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، 2001. صص 63 وما يليها.

[60] ننتخب من إحداها هذا الشاهد"ظهر جليّا أنّ القانون المدنيّ الفرنسيّ من خلال تقنينه وفقهه يتّفق كلّ الاتّفاق مع ما تميّز به الفقه المالكيّ قبل عقود من خلال منهجيّة البحث عن حلول عمليّة من أصول توفّر المرونة الاجتهاديّة...". بن خدّة، حمزة، أثر الفقه المالكيّ في القانون المدنيّ الفرنسيّ: العقد نموذجا، رسالة دكتوراه، إشراف: تشوار جيلاني، جامعة أبو بكر بالقايد، الجزائر، 2019-2017، ص 353.

[61] Boukhari, *Les traditions islamiques*, T4, op.cit, pp. VII-VIII.

[62] Brunschvig, *Deux récits de voyage*, op.cit, p. 20.
[63] Ibid , pp. 20-21.
[64] Saladin, Henri, *Voyage en Tunisie*, avec : Cagnat, René, Paris, librairie Hachette et C[ie], 79, Boulevard Saint-Germain, 1894.
[65] Agence générale des colonies. *Congrès du tourisme et du cynégétisme coloniaux*, 1932.
[66] Société Shell d'Algérie. *Guide du tourisme automobile et aérien au Sahara*, 1934-1937.
[67] Pellegrin, Arthur, *Le Tourisme en Tunisie*, Paris : Encyclopédie mensuelle d'outre-mer, 1954.
[68] Blachère, Regis, *Le Coran (al-Qo'rân),* Paris, G.P. Maisonneuve et Larose , 1966, p. 11.
[69] Blachère, p. 11.
[70] انظر: فتحي، القاسمي، الجدل الدينيّ في تونس (1875–1931) قراءة تحليليّة نقديّة، دكتورا الدولة، كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات جامعة منّوبة–تونس، 2004–2005، ص522 وما يليها. (توثيق لهذا المؤتمر من جهة القائمين عليه والأهداف المرجوّة منه).